ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

imene ameur

Dounia Messaoud khalouf

University: guelma ,Algeria

Email:

ameurimene5@gmail.com

danyphillo@gmail.com

Keywords:

Tolerance, intolerance , tyranny, violence, awareness , Islamic law

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	8 May 2022
Accepted	2 Jun 2022
Available online	1 July 2022

Tolerance is an Enlightening Islamic Vision- Majed al-gharbawi as a Model

A B S T R U C T

Like love, peace, tolerance is a human virtue in the first place, before any religious or social institution, it is a necessity with which we meet the values of intolerance, violence, and preparedness that have destroyed humanity. Locke and Voltaire wrote their letters in tolerance of the necessity and spread of all forms of violence in the absence of tolerance, calling for the acceptance of the other. Many have called for it, whether in the Arab or western world, one of the most important advocates of the value of tolerance in the Arab world is "Majed al-gharbawi" who presented a purely rational and philosophical vision to create a new paradigm of tolerance that deconstructs intolerance, from the reality of the Islamic environment, which witnessed extremism and tyranny, given the lack of awareness among peoples and the lack of proper understanding of the quranic text, it is necessary to cooperate to dismantle the extremist system and replace it with positive values, so that tolerance, love, and solidarity prevail throughout the Islamic world at a time when violence in the name of religion has spread.

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

التسامح رؤية اسلامية تنويرية ـماجد الغرباوي نموذجاـ

ايمان عامر / باحثة دكتوراه فلسفة تطبيقية، جامعة قالمة الجزائر

دنيا مسعود خلوف / باحثة دكتوراه فلسفة تطبيقية، جامعة قالمة الجزائر

الخلاصة:

مثل الحب و السلام، يعد التسامح فضيلة انسانية بالدرجة الأولى قبل ارتباطها بأي مؤسسة سواء كانت دينية أو اجتماعية و غيرها..فهو ضرورة نقابل بها قيم التعصب و العنف و الاستبداد التي أهلكت الانسانية و أدخلتها في دوامة من الحروب و الصراعات على مر العصور، فقد كتب لوك و فولتير رسائلهم في التسامح لضرورة ملحة، أي انتشار كل أشكال العنف في ظل غياب التسامح منادون بضرورة تحطيم كل أشكال الخلاف و المناداة بالاختلاف الديني و الثقافي و قبول الآخر، و العديد من الأصوات المنادية به في العالم

سواء الغربي أم العربي، هذا الاخير الذي أنتج قلما من خيرة أقلام هذا العصر المنادية بضرورة فك دعائم اللاتسامح و الدعوة الى فاعلية قيم التسامح لعلها تنتشل الفرد العربي من أزمته، و هو المفكر العراقي "ماجد الغرباوي" من خلال تقديمه لرؤية فلسفية و عقلانية محضة تنهل من منطق العقل و من نهر الشريعة الاسلامية لتخلق نسق قيمي جديد قائم على قيم التسامح و مفككا لقيم اللاتسامح و منابعها، انطلاقا من الواقع و من البيئة الاسلامية التي شهدت تطرفا و استبدادا نظرا لعدم وعي الشعوب و عدم فهم النص القرآني فهما صحيحا، لهذا فمن الضروري أن تتظافر الجهود من ّأجل تفكيك النسق القيمي المتطرف و تبديله بقيم جديدة ايجابية لكي يعم التسامح و الحب و التضامن كل أرجاء العالم الاسلامي في زمن انتشر فيه العنف باسم الدين.

- الكلمات المفتاحية :التسامح، اللاتسامح، الاستبداد، العنف، الوعي، الشريعة الاسلامية.

مقدمة :

يعد التسامح فضيلة أخلاقية لها ملامح انسانية بالدرجة الأولى، اذ أنه من بين الفضائل التي سعى الانسان لبلوغها دوما، و شرع لمفهومه و آلياته الكثير من الفلاسفة على رأسهم جون لوك و فولتير و مونتيسكيو الذين ساهمو بشكل كبير في بداية تأسيس خطاب حقوق الانسان من خلال مشروعهم القائم على التسامح للتخلص من التعصب المتطرف الذي أغرق اوروبا في وحل النزاعات. ناهيك عن الخطاب الديني الذي يحمل في طياته رسالة وجيهة ألا وهي نشر قيمة التسامح و الوئام و الحب، لأنه من الضروري وجود رابطة متينة تعزز ثقافة السلم و التبادل الفكري الخلاق و الداعم للحوار و بالتالي نشر قيمة التسامح في عالم تسوده هواجس الصراعات و المشاكل بين البشر، هذا التنافر سببه قيمة الاختلاف ليس هي في ذاتها، بل بالمشاكل المتعلقة برفضها، فالعالم الذي نعيش فيه اليوم يرفض الاختلاف و تقبل الآخر بالرغم من كونه سنة الكون و الدعامة الأولى التي تميز البشر مهما كان نوعه ايديولوجي أو ديني او عقائدي أو سياسي، و بالتالي فالبشر لا يتقبلون من هو مختلف عنهم و بالتالي تسبب هذا الاعتقاد في وجود أزمة خانقة على مر التاريخ، على سبيل المثال ما شهدته أوروبا من حروب دينية بسبب التعصب الدوغمائي من قبل رجال الدين على بقية الشعب و ممارستهم الوصاية باسم الدين و ما نتج عن ذلك من استبداد و نهب و قتل وغيرها من منابع اللاتسامح التي عرفها العالم الاسلامي أيضا عبر مختلف الأحداث و ساد الاعتقاد أن المنظومة القيمية الاسلامية هي المسؤولة عن تفشي هكذا أحداث، و الكثير من الاتهامات التي وجهت لتلك القيم الدينية و التي نتجت عن مفهوم خاطئ و التي تستدعي

قراءة جديدة للدين لفهمه فهما صحيحا، لذلك حاول المفكرون تجديد الخطاب الديني عبر محاولات نهضوية مختلفة، و من أبرز مفكري العصر الذين اهتموا بهذا الموضوع بغزارة نجد المفكر العراقي "ماجد الغرباوي" في رؤية فكرية ذات توجهات اسلامية قائمة على نقد أسس العنف و الاستبداد و اللاتسامح و بيان تناقضها مع الشرع الاسلامي و فك الخطاب الديني الذي يبدو متطرفا و شرحه و اعادة النظر في مفهومه و استبداله بالحقيقة الواعية البعيدة عن كل تطرف، و فهم الخصوصية الدينية و الدعوة الصريحة لقيمة التسامح في وقت تفشى فيه العنف باسم الاسلام و بيان وجود مفهوم التسامح كمفهوم متجذر في الخطاب الاسلامي و دعوة صريحة له منذ نزول القرآن الكريم و بالتالي فالمطلوب هو البحث عن هذه القيمة في النصوص الشرعية و محاولة نشرها بما يناسب واقع اليوم ..هذا ما حمله مشروع ماجد الغرباوي التجديدي و الاصلاحي، و منه نطرح التساؤل التالي : كيف يمكن للتسامح أن يحد من تفشي العنف و الاقصاء ؟ و كيف يمكن أن يكون وسيلة لتفكيك خطاب اللاتسامح الاستبداد و منابعه؟

أولا-التعريف بالكاتب :

ماجد الغرباوي كاتب و مفكر عراقي مهتم بالفكر الديني، متخصص في الفلسفة و العلوم الاسلامية و علوم الشريعة، كما يعتبر مؤسس و رئيس مؤسسة المثقف العربي بسيدني، شغل عدة مناصب من بينها رئيس تحرير مجلة توحيد، كما أصدر سلسلة رواد الاصلاح وكان رئيسا لتحريرها بالإضافة الى عضويته في الهيئة العلمية لكتاب التوحيد، كما حاز على العديد من النقدية و التقديرية عن أعماله. (almothaqaf.com)

يسعى الغرباوي من خلال مشروعه الى تحرير العقل من بنيته الأسطورية التي لجم بها و اعادة فهم الدين على أساس مركزية الانسان دون غيره و نشر الوعي عبر تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث و تداعيات العقل التقليدي، و قراءة النص قراءة متجددة تقوم على النقد و المراجعة من أجل فهم الدين كشرط أساسي لترسيخ قيم الحرية و التسامح و العدالة في اطار مجتمع مدني خال من العنف و الحرب و يعمه السلام الكوني. (almothaqaf.com)

- أشهر مؤلفاته :

كتب الغرباوي العديد من المنجزات و الكتب التي تعبر عن غزارة انتاجه الفكري، نذكر منها :

-الضد النوعي للاستبداد (استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني)

-التسامح و منابع اللاتسامح(فرص التعايش بين الأديان و الثقافات)

-اشكاليات التجديد

-النص و سؤال الحقيقة(نقد مرجعيات التفكير الديني)

-الحركات الاسلامية(قراءة نقدية في تجليات الوعي)

-تحديات العنف

- سلسلة كتب متاهات الحقيقة..

ثانيا:مفهوم التسامح:

- لغة :

لقد ورد مفهوم التسامح في لسان العرب لابن منظور " من السماح والسماحة: الجود. وسمح وسماحة وسموحة وسماحا: جاد.

ولغة يُقال: سمح وأسمح اذا جاد و أعطى عن كرم وسخاء. وقيل: انما يقال في السخاء سمح، وأما أسمح فإنما يقال في المتابعة والانقياد. ويقال أسمحت نفسه إذا انقادت.

والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا.

ومن ثم فالتسامح هو التغاضي عن أخطاء وزلات الغير أو التساهل في الحقوق أو الصبر على إساءة أو أذية ما (منظور، 1990).

-و في النواحي الغربية الأوروبية فتتم الاستعانة بكلمتي Tolération و Tolérance للدلالة على معنى التسامح. أين تحمل احداهما وهي Tolération معنى التخصيص فتشير بالضبط الى التسامح الديني سواء على مستوى الديانة الواحدة أو على مستوى ديانات متعددة.

في حين تحمل كلمة tolérance معنى العموم مشيرة بذلك الى تقبل الآخر بالروح السمحة مهما كان مختلفا عنا. ولعل الاستخدام المعاصر يميل الى كلمة Tolérance أكثر. (عصفور، 2006، صفحة 80)

- اصطلاحا :

أما من الناحية الاصطلاحية فالتسامح يشير الى جملة التصرفات والسلوكات الخاصة أو الجماعية التي على الأفراد ممارستها حتى يتقنوا فن العيش هم وغيرهم من الآخرين، دون أي انغلاق وتطرف، بل انفتاحاً على الاحترام المتبادل الذي يترك مجالا و مساحة للآخر المختلف خصوصاً عقائدياً. (ديلو، 2003، صفحة 700) وبذلك فالتسامح مبدأ انساني يُؤصّل لفكرة التعايش وتقبّل الآخر مهما كان مختلفاً عنّا، بل تقويض طرق وسُبل الانقسام والشتات باسم الدم، الدين، الجنس... يقول في ذلك فولتير: "ان التسامح نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية، لأننا جميعا من نتاج الضعف، فنحن ضعفاء ميّالون للخطأ، لذا دعونا يسامح بعضنا البعض ونتسامح مع بعضنا البعض بشكل متبادل وذلكم هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة والمبدأ الأول لحقوق الانسان كافة ". (مجلة، دون سنة، صفحة 12،13)

ثالثا-التسامح عند الغرباوي:

لقد وجدت الحضارة الإسلامية نفسها بعد مضيّ زمن طويل في وضعية شتات وصدمة حضارية عميقة، وذلك نتيجة استفاقتها على حالة من الانحطاط والتخلف والزعزعة، بعد أن كانت مهد كل الحضارات، وذلك في أول لقاء حضاري مع قرينتها الغربية، الأمر الذي دفع بالشرق وبالأخصّ الإسلامي أمام هذه المساءلة النهضوية الى الانشطار لثلاث اتجاهات (ماجد، 2009، صفحة 124):

- أوّل إمّعة تزعمه المتغرّبون ممن مالوا الى الذوبان في ثقافة الغرب، فقطعوا الصلة مع تراثهم.
- اتجاه ثاني محافظ وفيّ مخلص لثقافته وحضارته الإسلامية ورافض لأي اختلاف ومغايرة غربية.
- واتجاه ثالث وسطي تأرجح بين الأصالة والمعاصرة، فحافظ من ناحية على قيم وتعاليم

الدين الإسلامي، وانفتح من ناحية ثانية على ما يناسبها (القيم) من الحضارات الأخرى، مؤصّلاً بذلك لثقافة التسامح والعيش الواحد المشترك بما فيه من احترام الذات واعتراف متبادل بالآخر.

ولعل هذا الأمر هو المشروع الأساسي الذي أكد عليه مفكّرنا العربي ماجد الغرباوي، فالأمة الإسلامية حسب رأيه في حاجة ماسّة الى رقيّ ونهوض حضاري لتجاوز ركودها وتقهقرها السابق الأمر الذي لا يكون الّا من خلال الموازنة بين معطياتها من جهة ومعطيات نظيرتها الغربيّة من جهة أخرى.

إنّ الآخر من وجهة نظر الغرباوي ليس المغاير المناقض، بل هو المغاير الذي يستلزم التواصل ويقتضي الانفتاح والقبول، فلم تكن المغايرة أبداً تخلّي عن الذات وطمس لهويّتها، كما لم ولن تكن أبداً انغلاق على الذوات الأخرى ومحاربة لها. بل على العكس من الحالتين المغايرة تسير في سياق الرقي بالذات ضمن علاقة وجدلية إيجابية مع الآخر قوامها المعايشة الواحدة والاحترام المتبادل ضمن سياق قيمي تسامحي .(ماجد، 2010، صفحة 111)

وفي الإشارة الى التسامح يقدم الغرباوي مفهومه الخاص له باعتباره مبدأ إيجابي يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة دينيًّا و سياسيًّا، ليس تكرّماً ومنّةً، وانما واجباً تفرضه الحرية الشخصية. فالتسامح كمشروع حضاري لا يطمس ويتجاوز الآخر المختلف وفق ثقافة النبذ والاقصاء وتحت شعار المجابهة والقتال، بل يسعى الى التواصل والتعايش، ورغم أنه لا يقتصر على الجانب الديني فحسب بل يتعداه الى جوانب أخرى، إلاّ أنه في الفترات المعاصرة يُطرح ضمن هذا السياق خصوصًا وأن حضارتنا الإسلامية في حاجة ماسة الى مراجعة جديدة وعمليّة تعرية وكشف لما هو مستور مضرّ يمسّ ويهدّد وجودها من خلال الانغلاق على ذاتها والتعصب لمعتقداتها.

فالبيئة الإسلامية على حد تعبير الغرباوي في حاجة الى قراءة جديدة لنصوصها، قراءة قوامها الكشف والمساءلة لا التستر والمدارات، لأنّ هذه القراءة وحدها التي تسمح بالرقي بها وبإعادة بنائها وفق قيم حقيقيّة أبرزها قيمة التسامح. فالضرورة هنا هي تحديث هذه الحضارة ليس بشكل خارجي شكلاني وانّما بقلب الموازين واحداث تغيير داخلي عميق (ماجد، 2008، صفحة 22).

ان التسامح عند الغرباوي هو تجاوز لأي تعصّب وانغلاق على الآخرين، الى التقبّل والسماح لهم بإبداء آرائهم والتعبير عنها وفق مبدأ الحرية سواء كانت موافقة أو مخالفة لآرائها الخاصة.

ولذلك فنحن في حاجة ملحّة ضمن سياق مشروعنا الترقيعي النهضوي الإسلامي حسب الغرباوي الى خطوتين العودة الى الماضي بأصالته، وممارسة النقد عليه وتعريته. فالعودة لا تعني الذوبان التام فيه خصوصا اذا كان يحمل في طياته بوادر ضعفه، والنقد من ناحية أخرى لا يعني التقويض والهدم، وانما في الحقيقة هو ملية قوامها استدعاء الماضي وإزالة ما فيه من عرقلة نهضوية، وفي نفس الوقت الانفتاح على المستقبل بما يتضمنه من معايشة للآخر، ذلك أن تحضّر و رقيّ أي مجتمع يعود الى قاعدة وركيزة واحدة هي التسامح بمعناه الحقيقي الفعّال الذي يقوم على تقبل المختلف مهما بلغت درجت اختلافه ومستويات أخطائه، والسير نحو رؤية ايجابياته ونقاط جماله والأهم التسامح معه. (ماجد، 2009، صفحة 125)

رابعا- بين التسامح و اللاتسامح :

كتب على بني البشر العيش في جماعات مجتمعة، فلا يمكن لبشر أن يعيش بمعزل عن الآخر و لهذا العيش ضوابط و خصائص اذ يتوجب على الأفراد احترام خصوصيات بعضهم البعض و قبول معتقدات الآخرين و أفكارهم و حرياتهم الشخصية و اختلافاتهم سواء كانت في الدين أو العرق أو اللون او في المعتقدات، لقول الله تعالى ان في و من آياته خلق السماوات و الارض و اختلاف السنتكم و الوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين سورة الروم الآية22...، فالبشر جميعهم مختلفون لهذا السبب لا بد من تقبل الآخر و النظر في الأشياء التي تجمع الانسانية بعيدا عن كل تطرف او انتماء قد يشق أو يخلخل شبكة العلاقات الانسانية و يفكك قيم التسامح، هذا فان لم يحدث تقبل للاختلاف ستتدهور حالة المجتمعات مثلما هو سائد الآن و نخص بالذكر المجتمعات الاسلامية التي فقدت بنسبة كبيرة قيمة التسامح في مقابل انتشار قيمة اللاتسامح و التعصب و العنف و غيرها من قيم سلبية أثرت على الفرد العربي بالدرجة الأولى و في سلوكياته و انطباعاته تجاه الآخر و من ثمة مجتمعه. حيث أن ما نشاهده اليوم من صراع محتدم بين القوميات و الأديان و المذاهب يكشف عن رخاوة الأسس التي يقوم عليها مفهوم التسامح الذي يعتبر في نظر الأوساط المتصارعة مجرد قيمة أّخلاقية تتحكم به المؤثرات الاجتماعية و السياسية و الثقافية (ماجد، 2008، صفحة 11) فالأطراف و الأشخاص و الأقوام المتصارعين لم ينتبهوا الى قيمة التسامح كونها الفاعل الأساسي في الحد من ذلك الصراع و اعتبروها مجرد قيمة أخلاقية كغيرها من القيم كما أن غياب الوعي بمدى قدرة هذه القيمة في تغيير أحوال المجتمعات زاد الطين بلة و أدى الى نسيان الهدف الأسمى و الصورة الغائية التي تندرج تحت هذه القيمة.

يرى الدكتور الغرباوي أن الرهان على فاعلية قيم التسامح و قدرتها على خلق مناخات مؤاتية لاستنبات نسق قيمي جديد يتجاهل ما توارثه من محفوظات و نصوص ويؤسس لقيم جديدة ناظرة الى البعد الانساني (ماجد، 2008، صفحة 13) بمعنى أن النهج الصحيح للوصول الى مجتمع متسامح هو اثارة الوعي حول هذه القيمة و اعادة تشكيلها و فهمها من جديد بعيدا عن الموروث الديني المفهوم بشكل خاطئ و فهم الدين فهما صحيحا لأن المتطلع على الخصوصية الدينية يجدها تدعو الى كم وفير من القيم الايجابية كالتسامح و الحب و الأمانة و تقبل الآخر، و أن السبب في تفشي ظاهرة العنف و اللاتسامح هو عدم فهم آيات الذكر الحكيم و اعتبارها آيات تدعو للعنف و هذا نتاج القراءة السطحية و الفهم المتداول عن العقل الجمعي الذي يتبع فقط الآراء السائدة، وعدم الوعي بقيم التسامح و ثوابها و نتائجها المتواجدة في القرآن الكريم، و بالتالي انتشرت الكراهية و نبذ الآخر و التفرق و الانحياز الى مذهب أو فرقة على حساب أخرى و التعصب لها و بالتالي انتشرت كل مظاهر اللاتسامح. اذن فمشروع مفكرنا مبني على "محاولة لتأسيس نسق قيمي جديد لمفهوم اسلامي عريق أكدته

نصوص الكتاب و عضدته السير الصحيحة و ارتكز اليه المسلمون و شخص النبي في علاقته مع الآخر المختلف دينيا" (ماجد، 2008، صفحة 14) هذا المشروع يقوم على اعادة قراءة التراث قراءة صحيحة بعيدة عن الأحكام المسبقة و الآراء المتطرفة لأنها هي السبب في نشر مشكلة اللاتسامح و القضاء عليها على الأقل نسبيا و بما أن البحث في جذور المشكلة هو نصف الحل اضافة الى تشخيص الأزمة فالبتأكيد سنتمكن من الحد من انتشار هذه الظاهرة خاصة و أن الانسان كائن مميز بالعقل، فبإمكانه ادراك و تحليل ما يخترقه من أزمات من خلال عقلنتها و عقلنة كل شيئ سائد لا سيما الدين، وهو ما ذهب اليه ايمانويل كانط في القرن الثامن عشر حينما أطلق العنان للعقل و رفض كل قيم التعصب و التشدد الديني التي تضفيها علينا الأحزاب الدينية و غيرها، فالعقل يستطيع الوصول الى الدين الصحيح دون املاء من تصورات مفارقة من خلال الاعتماد على نصوص الذكر الحكيم و استنباط منها قيم صحيحة عكس تلك السائدة كذلك اتباع قيم السيرة النبوية و التي رسمت لنا في بعض أحاديثها أروع رسوم التسامح كقصة النبي محمد (ص) مع الشخص اليهودي الذي تقبل اختلافه و تعامل معه بلين و رفق رغم أذية اليهودي لشخص الرسول لكنه تعامل معه بأبلغ قيم الانسانية، فالإسلام دين أخلاق عالمية كونية و انسانية يجهلها الشخص المتطرف. لأنه صار مألوفا حز الرؤوس و تقطيع الأوصال و التمثيل بجثث القتلى حتى مع المسلم البريء لمجرد اختلافه مذهبيا أو سياسيا، بل صار يعرف الاسلام بهكذا ممارسات لا انسانية فضلا عن لا اسلاميتها. (ماجد، 2008، صفحة 14) فالممارسات العنيفة من قتل و اغتصاب و استبداد لا تمت للإسلام بصفة فهي أولا صفات دخيلة ربما ناتجة من جهل المجتمعات القبلية التي تتصرف بوحشية وفقا للنمط المنغلق المبني على العصبية..

و يرى مفكرنا أن الحل الوحيد لهذه الأزمة ليس بالأمر الهين لأنه مرتبط بصفات متجذرة في الشعب و المجتمع كما أنه مرهون للحد من صفات خانقة و كوارث اجتماعية متفشية تجتاح المجتمعات بلا هوادة و أثرت على المجتمع سلبيا، لذا فانه من الضروري "تبني قيم التسامح و العفو و المغفرة و الرحمة و الاخوة و السلام، لنزع فتيل التوتر و تحويل نقاط الخلاف الى مساحة الحوار و التفاهم بدل الاقتتال و التناحر و هو عمل صعب يستدعي جهودا يتظافر فيها الخطاب الاعلامي مع الخطاب الثقافي و الديني و السياسي و التربوي" (ماجد، 2008، صفحة 15) لهذا فزرع قيم التسامح بدلا من اللاتسامح هو عمل جبار يتطلب تعاون متبادل بين جميع الأطراف و كل بنى المجتمع من أجل نشر الوعي من خلال تبني قيم الدين و قراءتها بصورة جديدة و تقديم رؤية عصرية لمختلف قيمه بما فيها التسامح و شرح اهمية التسامح الديني من أجل ضحد كل المنابع المؤسسة للعنف باسم الدين و استنباط قيم جديدة من اجل استغلالها لصياغة نسق ديني خاص بالتسامح لكي يعم السلام و

الأمن كافة أرجاء الانسانية لأن الانسان هو خليفة الله في الأرض فلزام عليه أن يكون كائن مسالم متسامح مع كافة اخوانه.

و من جانب آخر فلا يمكن للتسامح أن يتواجد في مجتمع تسوده قيم سلبية و شعوب متناحرة و متنافرة و عادات تعبر عن سوء التأقلم و التعايش بين البشر، فلا يمكن للمجتمعات التي تعاني الاقصاء و التمييز و العنف أن تتبنى التسامح و تتقبل نمط معيشي جديد يسوده الهدوء بعيدا عن كل عصبية، اذن فانه من الضروري تفكيك كل منابع اللاتسامح أو المحددات المؤسسة لها ووضع قيم جديدة و تبني أشكال جديدة من القيم تصب كلها في منبع التسامح، لكن قبل ذلك يجب معرفة منابع اللاتسامح و القيم التي تؤسس لهذا الفعل و تحليلها من أجل تفكيكها و التمكن من تجاوزها في النهاية. أي "محاولة لتجريد التعصب من الشحنات السلبية ليصار الى قيم جديدة يتعصب فيها الفرد لصالح القانون و احترام النظام و تبني قيم التسامح و المحبة و الوئام" (ماجد، 2008، صفحة 27) لأن الدولة المدنية هي التي تحمي الفرد بالقانون و لا تسمح بالتعدي على الآخر كما هو سائد في العقلية الرجعية للشعوب، و تختلف منابع اللاتسامح حسب مفكرنا نذكر بعضا منها

1- منابع اللاتسامح :

- العنف :

لعل العنف من أبرز الظواهر السائدة في المجتمعات الحديثة و لا سيما القديمة، أي أنه مفهوم متجدر و تكون هذا المفهوم منذ القدم فقد لجأ الانسان الى العنف من أجل الدفاع عن نفسه بمختلف أنواعه سواء كان معنوي أو مادي بالضرب أو القتل او من خلال السب و الشتم وغيرها من وسائل العنف المختلفة، كما ساد العنف بكثرة في الحروب و في الخلافات العائلية و بين القبائل أي في المجتمعات التي لا تتحكم الى قوانين و ضوابط مدنية و تلجأ الى العنف بحيث "أصبح الأسلوب الوحيد في انتزاع الحقوق و فرض الآراء هو اللجوء للقوة، التي هي جزء كبير منها ممارسة غير مشروعة للعنف، بل و محرمة بميزان الدين و الأخلاق" (ماجد، 2008، صفحة 28) فهناك من يلجأ الى بسط نفوذه و الوصول الى مبتغاه بالعنف من خلال منطق القوة، كما اصبحت هذه الأخيرة وسيلة لانتزاع الحقوق بدلا من اللجوء الى القضاء و القوانين العادلة و بالتالي سيكون هناك ظلم خاصة أن القوي سيأكل حق الضعيف بأي صورة من صور العنف سواء بالضرب المبرح أو القتل العمدي و هي

أفعال محرمة شرعا و محظورة انسانيا، اذن فالأهم هنا هو القضاء على العنف و افراغ محتواه لتحل محله القيم الانسانية، لكن المسألة لا تقتصر على مظاهر العنف و الممارسات اللامشروعة للقوة فهذه الأخيرة يمكن القضاء عليها بعنف مضاد، لكن السؤال الأهم الذي يطرح نفسه، كيف نتجت ثقافة العنف و كيف نقضي على منابعها و منابع التعصب بصفة عامة (ماجد، 2008، صفحة 30) اذن فمن الضروري تقديم قراءة جديدة للدين و استنتاج قيم جديدة قائمة على فعل التسامح لتحل محل العنف و توعية الشعب و تثقيفه للابتعاد عن هذه الظاهرة المستبدة و تنقية عقله من الأوهام و السرديات الكبرى أو السرديات الفائقة بلغة ليوتار و التي ترسم لنا مظاهر العنف عبر أشهر محطات التاريخ التي لجأ فيها الانسان للقوة ليخرج منتصرا، فالشعوب دوما تتذكر القصص التي فيها عنف و التي غيرت التاريخ في نظرهم عن طريق انتهاج هذا النهج، فمن الضروري تقويم المخيال الجمعي و توعيته و المساهمة في يقظته لكي يحل محل العنف قيم السلام و الاخوة و الليونة.

- الولاء القبلي :

قبل الولوج في مفهوم الولاء القبلي وجب أولا الحديث عن القبيلة أو العشيرة باعتبارها مجموعة من الأشخاص يستوطنون مكانا ما، لهم قوانين و نظم خاصة بهم و يترأسهم شيخ يكنى بشيخ القبيلة، فهو يسن القوانين و هو الشارع المنظم يمارس الحكم على الجميع و يصدر القرارات التي ينبغي على الجميع احترامها و الانقياد بها، هذا ما يسمى الولاء أي الطاعة واحترام قوانين العشيرة و جلب كل ما له مصلحة لها على حساب كل القبائل الأخرى، لأن وجود الفرد من وجود قبيلته ووجوده مرهون بها فهي من تصنع له مكانته، و بالرغم من دخول الفرد مرحلة الدولة الحديثة او دولة القانون الا ان النظام العشائري مزال يفرض نفسه و مسؤول عن انتشار اللاتسامح في بعض الدول من خلال تعارض المصالح خاصة عندما يكون الحديث عن معتقدات و قيم القبيلة.

لقيم العشيرة تداعيات خطير خاصة في المجتمع الذي يضم عدد كبير من العشائر و يكمن الخطر حينما تتصادم قيم القبائل فيما بينها أو تتصادم مع قوانين الدولة أي ما يسمى بتقاطع الولاءات هنا يكون الفرد مخيرا بين الولاء لقبيلته أو لدولته و القانون أو عندما يكون الامر مرتبط بالولاء للدين ايضا، فتكمن المشكلة الى من سينحاز الفرد في الولاء أكيد سيختار قبيلته و ينحاز لها ضد الدولة فهو لا يستطيع التخلي عن عشيرته التي ترعرع في كنفها و على مبادئها و بما أن مكانته الاجتماعية تعطى له على أساس قبيلته. (ماجد، 2008، صفحة 34)كما أنه من المعروف أن القبيلة تقف بالمرصاد لأي أمر يتعارض مع مصالحها.. هكذا اذن تتقاطع الولاءات في معادلة الولاء للدولة أو للقبيلة و بالتالي تحدث فوضى عارمة في المجتمع و لاتسامح بين الأفراد لذلك كان لزاما تفكيك كل القيم المنوطة بالولاء العشيري و اعادة تشكيلها وفقا لقيم جديدة اكثر انسانية و لا يسود فيها العنف و التصادم، أي أن يحول الولاء الى دولة القانون التي تضمن للإنسان حقوقه و متطلباته

الاساسية التي تطبق على الجميع سواسية، و تكون هذه القيم الجديدة قائمة على اساس الدين و النص القرآني الذي يدعو للبر و التقوى و التعاون، من هنا ستتوحد الشعوب على أساس انساني، كما أن الأمر يحتاج الى اعادة تفكيك قيم القبيلة لا القضاء عليها أو تعطيل فاعليتها لأن هذا الامر مستحيل و انما يعاد تركيبها بشكل يخدم المجتمع و يفعل القانون و يضمن ولاء الفرد للدولة القانونية بعيدا عن التعصب القبلي الذي كثيرا ما يتعارض مع المصالح العامة للشعب، هذا الأمر الذي عبر عنه الكاتب على أنه مصادرة للفرد و قيمته الانسانية و ارادته التي أراد لها الله أن تكون متحررة و تسامح في بناء مجتمع متسامح. (ماجد، 2008، صفحة 37،38)، اذن فتفكيك النسق القيمي و ليس الاجتماعي للقبيلة واعادة تشكيل العقل العشائري له الأولوية في عملية التغيير و تأسيس مجتمع يقبل كل التحولات بنظرة متسامحة تنشد كل قيم التسامح (ماجد، 2008، صفحة 38)

- سلطة القيم :

تعتبر القيم الأساس الضابط لسلوك الفرد في تعاملاته و هي مكتسبة من المجتمع، بحيث "يلقن الفرد بمفاهيم قيمية يراد له الالتزام بها كي يكتسب احترام المجتمع، الذي لا يحترم الا من دأب على احترام قيمه و التزم بأعرافه و تقاليده" (ماجد، 2008، صفحة 42) اذ أن الاحترام يتبين من خلال تمسك الفرد بقيمه فهو بالتالي شخص محترم له مكانة اجتماعية مرموقة و كل شخص متمرد و ساخط عن قيمه فبالتالي هو شخص فاقد لمكانته الاجتماعية خاصة تلك التي أعطته اياه القبيلة، فالقبيلة تشرع لصفات صارمة من قبيل العنف و الولاء كما سبق شرحه و كذلك قيمة العصبية، فان لم يستخدم الفرد هكذا صفات في تعاملاته مع العشائر الأخرى أو في الدفاع عن قبيلته فسيوصف بالجبان و غيرها من صفات الضعف، فمعيار القوة في العشيرة هو مقدرة الشخص على التعامل بصلابة و بقوة و بكل عصبية والا فقد مكانته الاجتماعية في القبيلة، و بما أن هم الاشخاص نيل رضا شيخ القبيلة فبالتأكيد سيكون رد فعلهم صارم و لا متسامح ابان كل ردة فعل الى درجة التطرف.

كذلك في سلطة القيم يشير مفكرنا الى انتشار السلطة الأبوية و سيادة الذكورية، لأن المجتمع الذكوري لعب دورا كبيرا في تكريس سلطة النظام الأبوي، اذ يحتل الذكر مكانة أعلى من مكانة الأنثى، و مكانة مركزية الكون يتلاشى معها الوجود الاجتماعي للمرأة حتى تفقد قيمتها و مكانتها من خلال عدم تدخلها في القرارات خاصة المصيرية و الحاسمة وبالتالي اختفى وجودها الحقيقي، و بذلك عطل المجتمع الأبوي نصفه الآخر بإرادته بعد أن هيمن العنصر الأبوي على جميع المستويات (ماجد، 2008، صفحة 48). و بالتالي فان غياب مكانة المرأة في المجتمع يكون عبئا على تطور المجتمعات و يستحيل وصفها بالمجتمعات المتسامحة لأن هذه

الأخيرة لا يمكنها اقصاء أي عنصر فعال في المجتمع و مهم كأهمية المرأة طبعا. هكذا اذن فان سيادة القيم المستبدة و اللاسوية في المجتمع، تؤثر سلبا عليه وهذا بانتشار اللاتسامح و الاضطهاد و العنف و الاقصاء باسم القيم و من الضروري فك النظام القيمي المتجذر في الشعوب و محاولة وضع قيم جديدة أكثر عدلا و تنساق في المجتمع ليعمه السلام.

كما أشار الأستاذ الغرباوي الى منبعين آخرين للاتسامح، وهما الاستبداد السياسي اضافة الى التطرف الديني و اللذان تربطهما علاقة ببعضهما، فالمنبع الأول المتمثل في الاستبداد السياسي الذي يعني ممارسة السلطة العليا الاضطهاد و العنف باسم النظام و الاحتكار و الرشوة و الظلم و الكثير من أساليب الاستبداد، لذلك يتنافى الاستبداد السياسي مع التسامح و لا يمكن لهذا الأخير أن يحل في جو يسوده الاستبداد و العنف و يمارس ضمنه أساليب قمعية مختلفة هذا و تختلف انواع الاستبداد و تتعدد مجالاته و تتباين في الخطورة و لعل أخطرها الاستبداد الديني الذي يستمد شرعيته من الدين و يمارس عرابوه كافة طرق الاستبداد تحت شرع الدين بكل حرية و بالتالي يطغون و يصعب ردعهم، كذلك انظمة الحكم التي شهدها الانسان قد أسست للاستبداد و الديكتاتورية بشكل كبير مما منع ظهور التسامح و قبول الآخر و حتى الاعتراف به، لهذا وجب دحض أسسه و مناهجه و أساليبه، كون أن "الاستبداد عقدة يجب تجنبها في كل صيغة لأي مشروع حضاري مستقبلي. كما ينبغي الارتقاء بوعي الأمة الى مستوى ادراك مساوئ الاستبداد، أيا كان مصدره سياسيا أو دينيا أو اجتماعيا" (ماجد، 2010، صفحة 28)

أما عن التطرف الديني الذي يشبه عامة و في سياقات خاصة الاستبداد الديني فهو أيضا أساس آخر مشكل للاتسامح، من حيث أنه يتخفى تحت ثوب الشرع و الدين، لهذا فالتطرف الديني لا يعدو كونه قراءة متحيزة للدين و مجتزئة للنصوص نظرا لاختلاف القراءات و تعددها رغم وحدة القرآن و تعدد الآراء و اختلاف الفتاوى و على هذا الأساس يكون هناك خلاف و لا تقبل و بالتالي ينتشر التطرف و يختفي التسامح من الساحة (ماجد، 2008، صفحة 57) لذلك فان تفكيك الخطاب الديني القائم على التطرف ونشر قبول الآراء و تبادل الافكار و حل مساحة للحوار هو الحل لأي طرف ناشد للتسامح و رافض للخلاف و الاستبداد.

خامسا- أسس التسامح :

بما أن التسامح مبدأ انساني وشرط حضاري نهضوي، فلابد له لامحالة من دعائم يقوم عليها حتى يتسنّى للأفراد والأمم افشاء التعايش وتقويض التناحر، ولعل أبرز هذه الأسس (ماجد، 2008، صفحة 75)

- حقوق المواطنة :

تتحدد المواطنة انطلاقا من الاعتراف بالآخر كذات مغايرة ومخالفة لنا، والاعتراف بأن له جملة من الحقوق وان كانت تخالف حقوقنا وتصوراتنا، ذلك أن هناك فارق كبير بين قبول الآخر وبين الاعتراف به رغم أن كلاهنا يؤصّل للانتماء الوطني، لكن يبقى قبول الآخر هو حالة خارجية مفروضة على الفرد تبعا لمصالح وحياة مشتركة واحدة. في حين الاعتراف به ينطلق وينبع من الذات الواعية التي لا تكون أنانية في تصرفاتها وانّما تسبّق الولاء وبالأخص الوطني على أي ولاء آخر دون أي الغاء لا للذات ولا للغير. (ماجد، 2008، صفحة 76)

ان حقوق المواطنة تتطلب المساواة في الحقوق والواجبات بين كل المواطنين سواء كانوا مسلمين أو غيرهم ضمن اطار الوطن الواحد، خصوصا وأن الإسلام أكّد في نصوصه العديدة على حفظ حقوق أهل الكتاب قولا وعملا، قولا في الآيات العديدة:" ولا تجادلوا أهل الكتاب الاّ بالتي هي أحسن" (العنكبوت الأية 46) وعملا من خلال ما قام به الرسول عليه الصلاة والسلام في ميثاق المدينة الذي جعله دستور للناس مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية فهم أمة واحدة لهم نفس الحقوق والواجبات. (ماجد، 2008، صفحة 82،97) لعل التعايش والاعتراف بالحقوق بين المسلمين وحتى مع غيرهم هو أبرز ولاء للوطن اذ يقوم على أساس التسامح، وينبذ أي شتات وخلاف مهما كان نوعه (طائفي، قومي، عرقي، مذهبي...) ولذلك فالحقوق هنا واحدة والخصوصيات ليست ملغاة وانما معترف بها تحت لواء المساواة بين الجميع دون أي تفضّل أو منّة، هنا فقط ينفتح الأفراد على حريات عديدة.

- سيادة القانون:

بعد حقوق المواطنة، لابد للتسامح أن لا يسير بشكل عشوائي عرفي غير مقنّن، وانما لابد له من عملية تقنين فالقانون يلعب دور كبير في حماية التسامح والعمل على تطبيقه محابهةً لأي نوازع ذاتية وذلك حتى لا تنشأ هُوة بين الحقوق والواجبات ويحصل تصدّع بين الأفراد.

ان القانون يمثّل قوة عليا رادعة لأي تمرّد ولأي محاولة للثورة على الجماعة، وفي نفس الوقت مُحلّة ومُرسية لثقافة الحوار والتعايش و تقبّل الآخر المختلف.

غير أنه تجدر الاشارة الى أن هذا القانون لابد أن يبقى صامد مجابه لأي تصدّع ولأي مناداة بالانهيار والتراجع خصوصًا في ظل وجود مرجعيات أخرى منافسة له أو جهات ثانية يحتكم الها المواطن غيره، فهذا وحده يقوض الولاء للوطن باسم ولاءات ثانية متعددة، ذلك أن أساس استقرار أي مجتمع يكون من خلال إحلال

التسامح والسلام والتعايش والحوار بين أفراده مهما حمل في طياته اختلافات (قومية، دينية، سياسية...) هنا فقط تبرز وتتجلى قيمة التسامح كمبدأ يحقق وحدة المجتمع في ظل التعدّد والاختلاف. (ماجد، 2008، صفحة 104،105)

- إعادة تشكيل قيم التفاضل :

تلعب القيم دور كبير في بناء أو تهديم أي مجتمع، فمن ناحية يمكن أن تغرس في أفراده سلوكات التواصل وثقافة الولاء للوطن وللآخرين، ومن ناحية ثانية يكن لها خصوصا اذا ما يتم تشكيلها و ترتيبها بالشكل الجيد أن تُحدث فجوة و تُفشي في المجتمع الشتات وعوامل التفكك والخلاف، و لذلك لابد نقل هذه القيم من المستوى الخاص الأناني المنغلق الى مستوى عام انساني تعايشي منفتح.

ولعل الإسلام أبرز من أصّل لهذه القيم السمحة من خلال فكرة التفاضل التي تقوم علة جملة أسس أبرزها :

- ✓ التقوى: تتمثل في وضع الانسان لله عز وجل في قلبه وعلى رأس تصرفاته أثناء معاملة الناس، أي الخشية منه، ومن ثم لا يمارس ولا يسلُك الاّ وفقًا لما هو أخلاقي، دون أن يستغل الدين في أعمال لا أخلاقية (سفك دماء، ظلم، تعدّي على الحقوق(...
- ✓ الجهاد: ذلك أن الله عز وجل خصّ المجاهدين في سبيله بمنزلة ومكانة مع الأنبياء والأبرار والصالحين ووعدهم بأجر عظيم، ولذلك هناك فرق كبير بين من يجاهد في سبيل دينه ووطنه وبين من لا يحرك ساكنًا ازاءهما.
- ✓ العلم: فالعلم له مكانة مرموقة خاصة في الدين الإسلامي خاصة باعتباره غاية مطلقة على كل الناس بلوغها، وذلك لما له من فائدة وقيمة عليا. (ماجد، 2008، صفحة 108،109)

- اطلاق الحريات العامة:

ان المجتمعات التي تعايش الكبت والتستر تحت لواء قيود عدة لا يسودها الّا العنف والاستبداد واللاتسامح، في حين المجتمعات التي تنفتح على الحريات تترسخ فيها قيم التسامح والاحترام، فالحيرة مطلب ومسعى انساني رغم عديد المحاولات الساعية لطمسه، والمعنيّ بالحريات العامة حرية العقيدة والفكر والتعبير عن الرأي والحرية الدينية والسياسية والثقافية، لذا تبقى الحرية أهم ذريعة لتثبيت قيمة التسامح والاعتراف و نبذ كل عنف و تفرقة وكراهية.

الخاتمة :

ختاما نستنتج أن مشروع ماجد الغرباوي النهضوي المتمثل في اعادة تفكيك الخطاب الديني و تأسيس منظومة قيمية جديدة قائمة على الفهم الصحيح للدين من خلال ما ورد في النص القرآني و السيرة النبوية و بلورته بما يناسب مجتمعاتنا الاسلامية اليوم التي تعاني العنف و الاستبداد و الاضطهاد و الاقصاء فيما بينها، فقد وجد مفكرنا في التسامح المبني على الحوار و الانفتاح العقلاني على الأفكار و احترام الحريات و الاعتراف بالآخر مساحة كافية للتقليل من الأخطار التي قدفت بالإنسانية نحو الهاوية و ألقتها في ظلال اللاتسامح الشائكة و التي تتعارض مع الطبيعة الانسانية و الفطرة السوية التي فطر الانسان عليها ككائن متسامح، متعاون، مسالم، لهذا وجب تفكيك النسق القيمي السائد و تشكيل نسق جديد قائم على الحب و الحوار و تأسيس التسامح القائم على الاعتراف بالآخر، فأن تكون متسامح مع غيرك عليك أن تعترف به بذاته بوجوده و بكينونته، و هذا أمر شائك يستدعي جهودا كبيرة تتشارك فيها جميع الجهات من أجل نشر أكبر مقدار من الوعي، و هي محاولة أصيلة من مفكرنا تستدعي التطبيق الفعلي على أرض الواقع، من أجل مشروع سلام دائم بلغة ايمانويل كانط.

قائمة المراجع و المصادر :

1) almothaqaf.com. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من almothaqaf.com: http://www.almothaqaf.com

2) ابن منظور. (1990). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

3) الغرباوي ماجد. (2008). التسامح و منابع اللاتسامح. العراق: الناشر الحضارية للطباعة و النشر.

4) الغرباوي ماجد. (2009). تحديات العنف. لبنان: دار العارف للمطبوعات.

5) الغرباوي ماجد. (2009). متاهات الحقيقة الهوية و الفعل الحضاري. سوريا: دار أمل جديدة.

6) الغرباوي ماجد. (2010). الضد النوعي للاستبداد. لبنان: العارف للمطبوعات.

7) جابر عصفور. (فيفري، 2006). ثقافتنا بين التعصب و التسامح. مجلة العربي.

8) ستيفن ديلو. (2003). التفكير السياسي و النظرية السياسية و المجتمع المدني. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

9) مجلة. (دون سنة). التسامح و منابع اللاتسامح. مجلة قضايا اسلامية.

1) almothaqaf.com: http://www.almothaqaf.com
2) Iben mandor,1990, tongue of the Arabs, Beirut, sader publishing house
3) harbawi majed,2008, tolerance and founders, irak, annasher cultural publisher
4) Gharbawi majed,2009, challenges of violence, Lebanon, el aref publishing house
5) Gharbawi majed,2009, the labyrinth of truth identity and civilizational, Syria, amal publishing house
6) Gharbawi majed,2010, the specific antithesis of tyranny, Lebanon, el aref publishing house
7) Jabber assfour, febrary2006, our culture between intolerance and tolerance, al arabi magazine
8) Steven delow, 2003,politic thinking, political theory, civil society, cairo, superme council, of culture
9) Magazine, don a year, tolerance and founders, journal of Islamic issues